الصراع بين الحق والباطل أسبابها وعلاجها في ضوء رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

The ongoing conflict between Right and Wrong: Causes and Solution in light of *Rasā'il al-Nūr* of Badī' al-Zamān al-Nūrsi

د. أحمد جان الأزهري [*]

عبد الوهاب جان الأزهري [**]

Abstract

The conflict between ḥaq & bāṭil, i.e. virtue and lie, right and wrong has started since the day of existence of the universe and it reshapes from time to time. Similarly, its causes vary with respect to space, time, events and thoughts. The fight is not bad in itself because it produces some good and positive results. In this article, we shall be analyzing the struggle between truth and untruth and its causes while discussing the possible solutions in the light of Rasā'il al-Nūr of Imam Nūrsi. We shall also be providing some valuable suggestions and advices for the success of the truthful group among people.

Key words: Rasā'il al-Nūr, Ḥaq & bāṭil, Causes of untruth, Solution to social evils

مما لا شك في أن الصراع بين الحق والباطل قائم منذ أزل والباطل له أنصاره لما للحق أنصار واعوان وهذا الصراع له أسباب وجيهة مدعمة بالأدلة والبراهين.

وإن حركة الإصلاح في كل مكان تحاول سداد الاعوجاج في مسيرة البشرية غير أن الجهود الإصلاحية دوماً تواجه المشاكل والعقبات في مضيها قِدماً إلى بر الأمان غير أن الحق منتصر في معركة الحياة لأن الحق أحق أن يتبع وأن رايات الحق مرفوعة دائماً لأنه طبقاً لمشية الله ومرضاته وإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ومع ذلك نجد الانحراف والركون إلى الباطل والسلوك في طريق الشرور والمعاصى والآثام. وله أسباب وعوامل كثيرة أدت إلى الخروج عن الجادة والافانسان مفطور بفطرته التي توحينا الصلاح والفلاح والنجاح قال عليه السلام في حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواهما يهودانه وينصرانه ويمجسانه، غير أن هناك أسباب هي التي تجعل الإنسان بهيمة تمشى وراء العيش بدون تميز بين الحلال والحرام وهذه الأسباب كثيرة ومتنوعة.

الأسباب ودورها في الحركة التاريخية:

يؤمن العقل المسلم بالأسباب والسنن الجارية انطلاقاً من إيمانه بالقرآن الذي يوجه إلى الفقه بالأسباب والأخذ بها والاعتماد على تكرارها واستمرارها قال تعالى: "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"[(1)] لكن العقل المسلم في الوقت نفسه يؤمن بأن هذه الأسباب محكومة بهيمنة الله القادر على ابطالها وخلافها وتعد معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ضرباً من الاستعلاء على الأسباب والتلقى المباشر من الله يبطل الأسباب إذا أراد شيئاً أن يقول له

---

[*] أستاذ بكلية أصول الدين –الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد

[**] محاضر بكلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد

كن فيكون كذلك برود النار على إبراهيم ومع موسى في العصا ومع عيسى ابراء الاكمة والأبرص واحياء الموتى ومع يونس عندما انقطعت به كل الأسباب المادية وصار لقمة في بطن الحوت فلم يجد الاتصال المباشر بخالق الأسباب قال "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"[2], [3]

مشكلة الأسباب تعود إلى قوانين الحركة الداخلية للفعل وهي من أكبر عوامل انحراف الفكر البشري مع بزوغ فجر النهضة الصناعية في أروبا حتى أنها كانت تعد عند البعض بداية عصر الالحاد فلقد ظن بعضهم أن اكتشاف القوانين الحركة الداخلية ومعرفة اسرارها وكيفية التعامل معها تغنى عن اللجوء إلى الإيمان بفاعل غيبي غير منظور وهكذا ذهب الماديون إلى اعطاء القانون أو السبب قدرة الفعل الذاتي مع أن القانون لا بد أن يكون وراءه مقنن كما أن السبب لا بد أن يكون وراءه سبب.[4]

والحق أن الفكر الإسلامي كان واعياً كل الوعى ببطلان هذا الزعم منذ الصدام بين الحضارتين: الإسلامية، والأروبية والمفكرون الإسلاميون دحضوا هذه المقولة التي اتكأ عليها الماديون عامة والماركسيون خاصة.

وكانت لجهود جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، ومحمد فريد وجدي، ثم وحيد الدين خان، ومحمد قطب، وسيد قطب، ومحمد الغزالي ويوسف القرضاوي وعشرات غيرهم من الاعلام الإسلاميين كانت لجهودهم الآثار الإيجابية الطيبة.

بيد أن ما يقوله النورسي يقف نمطاً متميزاً غير مكرور في هذا السبيل انه لا يكتفى بالرد العلمي، ولا ببسط النظريات المتضادة، ولا باخراج المحترزات التي تشبه الاستثناءات التي تحبط فاعلية القانون بحد ذاته بل إنه ليتبع الأمور بتفصيل شديد وبتصوير رائع لصفحة الكون وكانه يبصر الحركة المباشرة التفاعلية بين السماء والأرض ويرى الصلة المباشرة بين المهيمن والافعال ويرى الموظفين الذين يدبرون حركة القوانين ويرى الحجم الحقيقي والوظيفة الحقيقية "المحدودة" للقوانين أمام قدرة الله المطلقة وإنها لوظيفة أساسية ومهمة لكنها لا تعدو أن تكون جسراً صغيراً وحاجياً ضعيفاً أو ستاراً رقيقاً تحركه قدرة الله تعالى.

يقول بديع الزمان: ''أيها الغافل الغارق في عبادة الأسباب''

اعلم أن الأسباب ليست الا ستائر امام تصرف القدرة الإلهية لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، أما الفاعل الحقيقي فهو القدرة الصمدانية لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا ويقتضيان الأسباب.

فالأسباب إذن إنما وضعت لتبقى عزةُ القدرة مضنونة من جهة نظر العقل الظاهري إذ أن لكل شيء جهتين كوجهي المرءآت:

أحدهما: جهة الملك الشبهة بالوجه المطلى الملون للمرءآة الذي يكون موضع الألوان والحالات المختلفة، والأخرى "الملكوت" الشبيهة بالوجه الصيقل للمرءآت ففي الوجه الظاهر "إلى جهة الملك" هناك حالات منافية ظاهراً لعزة القدرة الصمدانية كما لها فوضعت الأسباب كى تكون مرجعاً لتلك الحالات ووسائل لها أما جهة الملكوت والحقيقة فكل شيء فيها شفاف وجميل وملائم لمباشرة يد القدرة لها بذاتها وليس منافياً لعزتها، لذا فالأسباب ظاهرية بحتة وليس لها التأثير الحقيقي في الملكوتية أو في حقيقة الأمر.[5]

وليس الأمر في الأسباب هكذا فحسب بل إن هناك حكمة أخرى للأسباب الظاهرية وهي الحيلولة دون توجيه الشكاوى والاعتراضات إلى الله عزوجل حتى لا توج إلى الله ما لا يليق به فوضعت الأسباب لتكون هدفاً لتلك الاعتراضات والشكاوى لأن التقصير صادر منها ناشيء عن افتقار قابليتها.[6]

ويذكر النورسي حكمة الأسباب بأنها ستائر متمسكاً بحديث فيه محاورة معنوية لطيفة أن عزرائيل عليه السلام "قال لرب العزة إن عبادك سوف يشتكون مني ويسخطون على عند أدائي لوظيفة قبض الأرواح".

فقال تعالى بلسان الحكمة، سأضع بينك وبين عبادي ستائر المصائب والأمراض لتتوجه شكواهم إلى تلك الأسباب. فالأمراض ستائر يرجع إليها ما يتوهم من ساوى في الأجل. هذا التصور رائع يقدمه الشيخ بديع الزمان للأسباب ووظيفة الملائكة مجرد منفذى الأوامر إما إرادة الله فلا بد أن تنفذ فوراً إذ اتجهت لشيء لأنها ليست قابلة للتخلف إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.[7]

هذه النظرة ربانية للنورسي نجح في أن يبطل كل الحجيج التي تعتمد عليها المادية في تاليهها للأسباب.

وكذلك يتحدث النورسي عن الإيمان العلمي والالحاد الفكري ويرد على مدرسة الالحاد الفكري وهذه المدرسة مدعمة من أبواق الاعلام الصهيونية والالحادية في العالم تحاول أن تجعل معركة فكرية بين العلم والدين زاعمين أن الإنسان والكون ليس في حاجة إلى قوة خارجية ما وراء الطبيعة بل يؤمنون بمبدأ الصدفة والجحود بالله والاحتمال واللاقانونية في الكون بديلاً عن العناية والرعاية والقانون والسببية والعلية التي يحكم الله بها الكون ويسيره بها إلى ما شاء الله ثم تقيم الساعة. فقد ظهرت هذه النظرية في القرن العشرين لدرجة أن الكتاب المسلمين اضطروا على دحضها وردها بكتابات علمية قيمة أمثال الشيخ شبلى النعماني وأبوالاعلى المودودي والشيخ تقي الدين الأميني والباحث وحيد الزمان خان والعلامة محمد إقبال والشيخ محمد أنور شاه الكشميري. وفي العالم العربي دحض هذا الاتجاه مفكرون كثيرون وعلى رأسهم العلامة نديم الجسر مفتي طرابلس بلبنان وعباس محمود عقاد بمصر والعلامة شيخ الإسلام موسى صبري والشيخ زاهد الكوثري من تركيا في كتابات علمية متعددة.

أما جهود النورسي في مجال تعميق الإيمان كونياً وعلمياً تعد أقوى ما قدمه العقل المسلم في القرن الرابع عشر الهجرية.

يتحدث النورسي عن علاقة الإنسان بالله الخالق ثمة أوامر تكوينية فطرية وثمة أوامر تشريعية وعبادية وهناك مساحة لحرية الإنسان هي مناط الثواب والعقاب في تفاعلها إيجاباً وسلباً مع القوانين الفطرية والكونية والتشريعية ومن باب علاقة الإنسان بالكون والأوامر الإلهية والتشريعية يتجلى خط الإنسان المتاح له من الحرية والإرادة حتى تتضح المعادلة الإنسانية المتوازنة إما المذاهب الجبرية أو الحتمية[8]قد اهتز حتى في مجالها الطبيعي المادي وثبت علمياً وعقلياً ونقلاً أن الإنسان ليس مجبراً أو آلة تحركها أية عوامل وإنما هو مسئول الأول عن صناعة الحضارة وهو المحرك الأول للحضارة في مرحلة نموها واستمرارها وازدهارها وهو الخليفة على هذا الكوكب وإن التأريخ إنما هو شأنه سواء كان فرداً أو أفرداً ممتاز في صورة بطل أو جماعة آمنت بمبدأ إيجابي ومتى تزايد اقبال الأفراد والشعوب على الطاعة لإرادة الله تحسنت الأمور وتتقدم الإنسان حضارياً.

أما تصور الإنسان أنه فرد حر في الكون يحتم كل نظام ويتمرد على كل أصول عقلية وقانونية كسائق السيارة المجنون الذي يعتقدون إشارات المرور إنما قيود واصفاد تقف حاجزاً إمام حريته ويجب الانفلات من هذه القواعد المرورية فإذن هذا النوع من الحرية الفردية اللامبالية مرفوضة لأنها تعنى العشوائية التي هي سلب العقل والقانون "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ – لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"[9] "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا"[10] "لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ"[11,12]

ويقول النورسي إن الطبيعة أشبه بالجندي في علاقته بالسلطان فالجندي قد يسخر الآف الناس في تيسير شئون الحكم وقد يبدو أنه هو الآمر وأن الناس تذعن لقراره بينما هو لا يفعل هذا بمحض قدرته بل يحكم السلطان ومن السلطان يستمد الشرعية وإذا انقطع حبل هذا الجندي عن تأييد السلطان له لا يكون كما كان بل يصبح عادياً لا يملك حولاً ولا قوة.[13]

ويضيف النورسي في الرد على الماديين والطبيعيين قائلاً: ومن البدهي الذي يجهله الطبيعيون أن الوجود والطبيعة قامتا على الحكمة والنظام وهذا نجدها ونقرؤها في الكون كله ونلمسها جلية واضحة في الطبيعة باسرها والحكمة لها معنى معين مُنبسق من نفس "الحكيم" وليس لها وجود خارجي مستقل فهي ليست بمادة ولا جسم يحتل حيزاً في هذا العالم[14] ويقصد بهذا الكلام أن صنعة نظام العالم مبنى على الدقة والحكمة والانتظام وليست الصدفة بل من صنعة الله الذي اتقن كل شيء.

ويقول النورسي في "طبيعة الطبيعة" إن جميع فرضيات الطبيعة تسقط ولا يبقى إلا الإيمان بأن الصانع ذا الجلال هو القادر على كل شيء وهو نفسه خالق الأسباب وخالق المسببات وهو الذي يربط المسببات بالأساليب بحكمته تعالى وقد يحيي بإرادته طبيعة الاشياء ويجعلها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر عليها الكون هي سنن الله الجارية في الخلق التي تخص تنظيم شئون الكون.[15]

ويرفض النورسي أن هناك صراع في حركة الحضارة بل يقول لا نسميها صراعاً بل علاقة "استشارة" لبذل اقصى الطاقة المذخورة فلا يوجد صراع بين المرأة والرجل، والسالب والموجب، ولا بين أي ذكر وأنثى في الحيوان ولا في النبات ولا في الجماد بل الاستشارة التي يبذلها كل من الطرفين المتقابلين يستخرج كل منهما أقصى الطاقة المذخورة حتى يتحقق التكامل المنشود في أفضل صوره الممكنة أنه حب خفي ووئام وتكامل تحققه الحياة بأسلوبها المتنوع بعيداً عن الصراع التناقضى بل هو اختلاف وتنوع لا تحقق "سيمفونية" الحياة التي تقتضى طبيعتها اختلاف الايقاعات إلا به فلكى تنشأ الحياة وتنمو وتذهر لا بد من هذه الزوجية الازدواجية المتقابلة المتكاملة أنها سفينة واحدة لا تتحمل حدة الصراع.[16]

هكذا نجد أسلوب النورسي في تحليل أدق القضايا الفكرية وتسهيلها بمنطق العلم والإيمان ويشرح علاقة الإنسان بالكون حسب روية إسلامية علمية رائعة قائمة على التحليل الموضعي منطلقة من صدق الوحي الذي لائيتيه الباطل ويرد على الجبرية والطبيعة والملحدين بأسلوب الناصح الأمين بالأمثلة والنماذج من العقل والوجدان على بطلان فكرتهم وعقيدتهم ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

أسباب الصراع والاختلاف والانحراف وعلاج ذلك من خلال رسائل النور:

يتسائل النورسي لماذا يختلف أهل الدين والعلماء وأرباب الطرق الصوفية وهم أهل حق ووفاق ووئام "بالتنافس والتزاحم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة بل أهل الضلال والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم مع أن الاتفاق هو من شأن أهل الوفاق والوئام، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق فكيف استبدل الحق والباطل مكانهما فاصبح الحق بجانب هو لا، والباطل بالعكس.

السبب الأول:

إن اختلاف أهل الحق غير نابع من فقدان الحقيقة كما إن اتفاق أهل الباطل ليس نابعاً من ركونهم إلى الحقيقة. بل إن وظائف أهل الدنيا والسياسة وامثالهم قد تعنيت وتميزت فلكل طائفة وجماعة مهمة تنشغل بها وينالون أجرة مادية لتيجة خدماتهم لمواصلة المعيشة بجانب ما يكسبون أجر معنوي كحب الجاه وذيوع الصيت والشهرة فهي أيضاً متعينة ومتميزة فليس هناك إذن ما يولد منافسة أو مزاحمة أو حسداً فيما بينهم ولا يولد النقاش والجدال ولذلك تراهم يتملكون من الاتفاق مهما سلكوا من طرق الفساد أما أهل الدين وأصحاب العلم وارباب الطرق الصوفية فإن وظيفة كل منهم متوجهة إلى الجميع وإن أجورهم غير مقرر كما أن مكانتهم الاجتماعية ليست متخصصة فهناك مرشحون كثيرون لمقام واحد ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة فيتبدل الوفاق نفاقاً والاتفاق اختلافًا وتفرقاًولا يشفى هذا المرض العضال الأمرهم الاخلاص الناجح "إن أجرى إلا على الله"[17]عن طريق إيثار الحق والهدى على اتباع النفس والهوى وترجيح الحق على الباطل امتثالاً "وما على الرسول إلا البلاغ المبين"[18]باستغنائه عن الأجر المادي والمعنوي الذين يتوقعان من الناس.

السبب الثاني:

إن اتفاق أهل الضلال نابع من ذلتهم بينما اختلاف أهل الهداية نابع من عزتهم لأنهم يستندون إلى الحق أما أهل الدنيا والضلال ضعفاء وإذلاء، يشعرون دائماً إلى كسب القوة من غيرهم والاتفاق معهم ويحرصون على الاتفاق الجانبي في تساندهم على الباطل وإصرارهم على الحادهم ونفاقهم واخلاصاً على بقائهم فمن جد وجد أما أهل الحق فهم يستندون إلى الحق وإن كل واحد اثناء سيره على طريق الحق لا يرجو الارضي ربه الكريم ويطمئن إليه وإذا أحسوا من الضعف ينسبوا إلى ربهم ويستمدون منه القوة وينالون عزة معنوية في مسالكهم ومشاربهم ولذلك لا يحسبون بدواعي التعاون مع الآخرين أما إذا تدخل فيه الغرور والانانية فيرى نفسه محقاً وزميله على الباطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة ويذهب الاخلاص يحبط العمل.

العلاج لهذا المرض الوخيم:

1. العمل الإيجابي البناء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب من غير تدخل في شئون الآخرين والتهوين من شأنهم.
2. عليه أن يتحرى روابط الوحدة التي تربط المشاربة المعروضة في ساحة الإسلام مهما كان نوعها.
3. الأخذ بالعدل والانصاف دستوراً ومرشداً فيقول: إن صاحب كل مسلك حق ومسلكى أفضل وأجمل ولا يتدخل في شئون الآخرين.
4. الاتفاق على نصرة الحق في مقابلة الباطل جماعياً لأن أية مقاومة فردية مهما كانت قوية مغلوبة على أمرها.
5. ترك غرور النفس وإعادة النظر في الاعمال والافعال.[19]
6. ترك دواعى الحسد والمنافسة وبهذه العلاجات الشافية يستطيع أهل الحق أن يظفروا في أداء وظيفتهم كما هو المطلوب.

السبب الثالث:

ان اختلاف أهل الحق ليس ناشئاً عن الوضاعة وفقدان الهمة كما إن اتفاق أهل الضلال ليس ناشئاً عن علو الهمة بل إن اختلاف أهل الحق والهداية نابع من سوء استعمال علو الهمة والأفراط فيه. وهذه الإساءة تأتي من المبالغة في الحرص على الثواب الأخروي وهو في حد ذاته خصلة ممدوحة ويتدخل فيه المنافسة ثم الحسد وآثرةمثلاً يقول لماذا

يذهب تلاميذي إلى فلان وعلان فتفوته الاخلاص لأجل المنافسة والحسد وهو خطأ واضح ومرض شديد. والعلاج لهذه الظاهرة المرضية في نظر النورسي.

إن علاج هذا المرض الروحي العضال بالعلم والقناعة بأن الله تعالى لا يرضى بشيء إلا الاخلاص في العمل الصالح — فرضاه ليس بكثرة الاتباع والتلاميذ والتوفيق في الاعمال لا يحصل إلا بفضله وكرمه لمن يشاء ربي ويرضى والاعتبار بالكيفية لا بالكمية فحرص الناس أن يؤخذ الدرس والارشاد منى فقط لأفوز بالثواب الأخروي ما أكثر حيلة النفس وخديعة الانانية وليس السبق والفضل في كثرة التلاميذ والتابعين وإنما في نيل الشرف الرضى من الله فإن كثيراً من الأنبياء ما آمن بهم إلا قليل والزم الاخلاص تكن ناجحاً.[20]

السبب الرابع:

إن اختلاف أهل الهداية وتحاسدهم ليس كائناً من عدم التفكر في مصيرهم ولا من قصر نظرهم كما أن اتفاق أهل الضلالة ليس كائناً من القلق على المصير ولا من سوء نظرهم وعمق رؤيتهم بل إن عجز أهل الهداية عن الثبات على الاستقامة في المصير وتقصيرهم عن الاخلاص في العمل يحرمهم من التمتع بمزايا ذلك المستوى الرفيع فيسقطون في هوة الاختلاف رغم كونهم يسترشدون بالعقل والقلب البصرين للعاقبة ويستفيضون من الحق والحقيقة.

أما أهل الضلالة فباغراءا النفس والهوى وبمقتضى المشاعر الشهوانية الدنيوية العاجلة تراهم يتفقون فيما بينهم ويجتمعون على منفعة عاجلة ولذة حاضرة تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

أما أهل الهداية فينبغي أن يكونوا متحدين متفقين متكاملين فيما بينهم حتى يكتسبوا حسنات الدنيا والآخرة آجلاً وعاجلاً غير أن عدم تجردهم من الغرور والكبر والافراط والتفريط يصيبون بالوهن والضعف ويتحطم الوحدة والاتفاق وهذا عمل مشين لا يرضى الله ورسوله بذلك وما أحسن قول الشاعر حيث قال: وما تلك المختار ألف ديانة — ولاجاء في القرآن هذا التنازع وياليت أهل الدين لم يتحزبوا.

علاج هذا المرض:

يعالج هذا المرض بالانضمام إلى صحبة السالكين في منهج الحق وربط عرى المحبة معهم امتثالاً بالحديث الشريف، الحب في الله، ثم السير خلفهم وترك شرف الأمانة لهم وترك الاعجاب بالنفس والغرور والأنانية — علاج شاف لهذا المرض الوبيل.[21]

السبب الخامس:

إن اختلاف أهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعاً من ضعفهم كما أن اتفاق أهل الضلالة ليس نابعاً من قوتهم بل إن عدم اتفاق أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة لما يمدهم به إيمانهم الكامل من مرتكر قوى وإن اتفاق أهل الغفلة والضلال ناجم من الضعف والعجز حيث لا يجدون في وجدانهم مرتكزاً يستندون إلى القوة فلفرط احتياج الضعفاء إلى الاتفاق تجدهم يتفقون اتفاقاً قوياً، ولضعف شعور الاقوياء بالحاجة إلى الاتفاق تجدهم اتفاقهم ضعيفٌ مثلهم في هذا كمثل الأسود والثعالب التي لا تشعر بالحاجة إلى الوحدة والاتفاق فتعيش فرادى بينما الوعل والماعز الوحشي تعيش قطعانا خوفاً من الذئاب والاسود. إذن أصيب أهل الحق والهداية بهذا المرض وطريق النجاة من هذا الواقع الأليم والتخلص من هذا المرض الفتاك مرض الاختلاف الذي ألم بأهل الحق في الامتثال يقوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[22]واتخاذ الأمر الرباني وتعاونوا على البر والتقوى[23] دستور للعمل في الحياة الاجتماعية تم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ في الإسلام والتجنب عنه لمرضاة الله ورسوله.[24]

السبب السادس: اختلاف أهل الهداية واتفاق أهل الضلالة.

يذكر لنا النورسي بمنطق العلم والتجربة التي عايشها في وسط المجتمع الإسلامي نقاط مهمة حول هذه القضية قائلاً: إن اختلاف أهل الحق ليس ناشئاً من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية كما إن الإتفاق الجاد بين أهل الضلال الذين يبغون الدنيا ليس ناشئاً من الشهامة والرجولة ولا من الحمية وعلو الهمة بل إن أهل الحق وجهوا نظرهم إلى ثواب الآخرة على الأكثر فتوزع مالديهم من حمية، وهمة، وشهامة إلى تلك المسائل المهمة والكثيرة ونظراً لكونهم لا يصرفون أكثرهم وقتهم الذي هو رأس ما لهم إلى مسألة معينة واحدة فلا ينعقد اتفاقهم عقداً محكماً مع السالكين في نهج الحق حيث إن المسائل كثيرة والميدان واسع جداً أما أهل الدنيا فتقصر انظارهم على حطام الدنيا فهي أكبرهمهم ومبلغ علمهم فتراهم يمدون أيديهم إلى كل ما يتوقع منه ما لا وجاهاً فيربطون معهم أوثق الرباط ومن هنا يتغلب أهل الباطل على أهل الحق فيفقد أهل الحق الإخلاص ويسقطون في مهاوى الذل، والتصنع، والرياء، ويضطرون إلى التملق والتزلف إلى ارباب الدنيا المحرومين من كل صفات الخير.

العلاج:

يخاطب النورسي الأمة الإسلامية قائلاً يا أهل الحق ويا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة ويامن تنشدون الحق لأجل الحق إسعوا في رفع هذا المرض الرهيب مرض الاختلاف بتأدبكم بالأدب الفرقاني العظيم الأوهو قوله تعالى "وإذا مروا باللغو مروا كراما"[25]

فاعفوا عن هفوات إخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم وغضوا ابصاركم عن عيوب بعضكم الآخر ودعوا المناقشات الداخلية جانباً فالاعداء في مرصاد من كل جهة واجعلوا انقاذ أهل الحق من السقوط من واجباتكم الدنيوية والأخروية وأولاها بالاهتمام وتمسكوا بتعاليم الإسلام قرآن وسنة، التي تأمرنا بالتأخى والتحابب والتعاون واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ومنهج الحق المبين واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف والشقاق فإن ذلك ذميمة.

1. ويناشد النورسي أمة الإسلام قائلاً: يا أهل الحق وأصحاب الحقيقة ويا من اتبليتهم ببلوى الاختلاف لقد ضيعتهم الاخلاص في هذا الظرف العصيب ولم تجعلوا رضي الله غاية مسعاكم فمهدتم السبل لاسقاط أهل الحق مغلوبين على أمرهم يجرون مرارة الذل والهوان.[26]
2. ويضيف النورسي في نصائحة قائلاً: اعلموا يا أهل الحق أنه لا ينبغي أن يكون حسد أو منافسة وغيرة في أمور الدين والآخرة فليس فيها هذا الأمور لأن منشأ الحسد والمنافسة إنما هو من تطال الأيدي الكثيرة على شيء واحد وحصر الانظار إلى مقام واحد واشتهاء الكثير إلى طعام واحد "في هذه الحالة" تعترك الرغبات وتشتد المناقشة، والمسابقة، والمزاحمة، والحسد، ولما كانت الدنيا ضيقة ومرقتة ولا تشبع رغبات للانسان ومطالبه والكل يرغبون ويتهالكون على شيء واحد فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد، والمنافسة أما الآخرة الفسيحة فلكل مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض وفيها ما تشتهي الأنفس وتتلذذ الأعين فلا موجب إذن للحسد والمنافسة قط وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا حسد ولا مشاحة في الأعمال الصالحة التي تفضى الآخرة ومن تحاسد فهو لا شك مراء يريد مكاسب دنيوية تحت ستار الدين يجب المنافع باسم الاعمال الصالحة.
3. يا أهل الحق والحقيقة والطريقة إن خدمة الحق ليس هيناً بل هو اشبه ما يكون بحمل كنز عظيم ثقيل والقيام بالمحافظة عليه يحتاج إلى الأيدي الأقوياء للعون والمساعدة فيجب أن يستقبل هؤلاء المقبلون بمحبة واخلاص

ويستخدمهم في مهمة الدين ويمنح لهم المكانة اللائقة بهم فهم أخوة موازرون لكم في دفع عجلة الحق إلى الإمام. فلم إذن ينظر إليهم نظر الحسد ناهيك عن المنافسة والغيرة حتى يفسد الإخلاص وتحول أعمالكم ومهمتكم موضع تهم الضالين.[27]

4. إن العلاج الوحيد لهذا المرض هو اهتمام المرء نفسه والانحياز إلى جهة رفيقة في نهج الحق وعدم الانحراف عن دستور الإنصاف والحق، فإذا كان الحق يظهر على لسانك وعلى لسان خصمك فاعط فرصة لخصك حتى يظهر الحق على لسانه وتؤيده لأن الحق أحق أن يتبع وأنت سوف تتجنب عن الغرور والأنانية وأنت تعلمت شيئاً جديداً في حياتك وارضى به وارتاح ما لدى الخصم.[28]

فلو اتخذ أهل الدين والحق والعلم هذا الدستور دليلاً لهم في حياتهم وعملهم فإنهم سيظفرون بالاخلاص بإذن الله ويفلحون في اعمالهم الأخروية وينجون برحمة منه سبحانه تعالى.

1. إن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مصلح ديني يحاول علاج الأمة الإسلامية مادياً وروحياً كالطبيب النطاسي الماهر الذي يشخص الأمراض ويحدد الكيفيات والاعراض تم يصف العلاج الشافي وتستفيد من تجارب الآخرين أيضاً وذلك كمحاولة لنهضة الأمة الإسلامية والعالم كله من الأنهيار في المهاوى والهلاك.

يقول النورسي: إن أسس المدينة الحاضرة سلبية وهي أسس خمسة تدور عليها رحاها.

2. فنقطة استنادها القوة بدل الحق وشأن القوة الاعتداد والتجاوز والتعرض ومن هنا تنشأ الخيانة.
3. وهدفها وقصدها منفعة خسيسة بدل الفضيلة وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم ومنه تنشأ الجناية
4. ودستورها في الحياة الجدال والخصام بدل التعاون وشأن الخصام التنازع والتدافع ومن هذا تنشأ السفالة.
5. ورابطتها الأساسي بين الناس "العنصرية" التي تنمو على حساب غيرها وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية، والعنصرية التصادم المريع كما هو المشاهد ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.
6. وخامسها: هي أن خدمتها الجذابة تشجيع الأهواء والنوازع دائماً مسخ الإنسان وتغير سيرته فتتغير الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.

إن معظم هؤلاء المدنيين لو قلبت باطنهم على ظاهرهم لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير.[29]

العلاج:

ثم يبين النورسي علاجها لهذه الأمراض الاجتماعية المتأصلة في جسد الحضارة الأروبية والتي امتدت جذورها إلى العالم الإسلامي حين تخلت الأمة الإسلامية عن حضارة الإسلام ومثله العليا فأصيبت بالأمراض الوبائية القادمة من الغرب.

وبعد تشخيص دقيق للأمراض يقول النورسي الحكيم في علاج هذا الداء العضال أما رؤشتة العلاج فتمثل في الالتزام بأسس مدنية القرآن الكريم فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية، وهي:

1. نقطة استنادها الحق بدل القوة ومن شأن الحق دائماً العدالة والتوازن فهي إيجابية ومن هنا ينشأ السلام ويزول الشقاء.
2. هدفها: الفضيلة بدل المنفعة وشأ الفضيلة المحبة والتقارب ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.
3. دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال وشأن هذا الدستور الاتحاد والتساند الذان تحيا بهما الجماعات.

4. وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الاهواء والنوازع وشأن الهدى الارتقاء بالإنسان ورفاهيته إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدها بما يلزم.
5. ورابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف، والمهنة وأخوة الإيمان وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة وطرد العنصرية والقومية السلبية وبهذه المدنية القرآنية يعم السلام الشامل.[30]

كما يقدم النورسي في روشتة العلاج بعدا آخر يقود البشرية في ظل العولمة اللادينية واللااخلاقية إلى الهاوية، بينما لا يقبل القرآن الكريم النازل رحمة اللعالمين الاطرازاً عن المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الاكثرية فنجد الحضارة الحاضرة قد أطلقت الاهواء والنوازع والشهوات من عقالها حتى أصبحت الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورة وهكذا محيت راحة البشرية إذ كان الإنسان في البداوة والسذاجة محتاجاً إلى أربعة اشياء بينما انقرته المدنية الحاضرة اللآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة حتى لم يعد السعى الحلال كافياً لسد النفقات مما اضطرته المدينة الحاضرة إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام ومن هنا فسدت أسس الأخلاق إذا حاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فاصبح الفرد فقيراً وفأقداً للاخلاق.[31]

ولا حل إلا بالقناعة الإسلامية والزهد وشتى من التقشف ومقاومة التكاثر المادي المدمر والعمل بالاخلاق الإسلامية التي تجمع بين الدين والدنيا متوازنة، وبهذه القيم الدينية والاخلاقية يتحقق التفاهم بين البشر ورأب الصدع في ذلك العالم الممزق.

والله أعلم بالصواب و هو الحق الوكيل.

الهوامش والمصادر:

[1] سورة الفاطر، الآية: 43

[2] سورة الأنبياء، الآية: 87

[3] رجل القرآن وصناعة الإنسان لدكتور عبدالحيم عويس، ص53

[4] رجل القرآن وصناعة الإنسان، ص52، نقلاً عن "الكلمات" الكلمة الرابعة عشر"

[5] الكلمات بديع الزمان النورسي، ص200، 326327، والكلمة الرابعة عشر، وانظر رجل القرآن، ص54، د. عبدالحليم عويس

[6] رجل القرآن، ص54

[7] سورة يس، الآية: 82

[8] الحتمية هي التي ترفضها الإسلام لأنها تؤل الأسباب والقوانين بأنها حتمية فعاله مع أن الإسلام يرى ويؤمن على الغاء الأسباب لأن افعاله ليست معلولة لغلة مع تقدير الإسلام للأسباب بصفة اجمالية وهي السنن الكونية والاجتماعية التي تعبد الله بها المسلمين كجرء من مشيئته وسننه وعدله.

[9] سورة الزمر، الآية: 62

[10] سورة الرعد، الآية: 15

[11] سورة الروم، الآية: 26

[12] رجل القرآن، ص65 د. عبدالحيم عويس

[13] قراءة في كتاب الطبيعة محمد خروبات، ص33 نقلاً عن رجل القرآن، ص67

[14] المصدر السابق، ص157

[15] رجل القرآن، ص68 نقلاً عن كتاب الطبيعة

[16] رجل القرآن، ص74

[17] سورة يونس، الآية: 72

[18] سورة النور، الآية: 54

[19] كليات رسائل النور اللمعات، ص207208

[20] اللمعات، ص209 بتصرف

[21] نفس المرجع، ص211

[22] سورة الأنفال، الآية: 46

[23] سورة المائدة، الآية: 2

[24] اللمعات للنورسي، ص213

[25] سورة الفرقان، الآية: 72

[26] اللمعات، ص215

[27] اللمعات، ص217 بتصرف ملخصاً

[28] اللمعات، ص217 ملخصاً

[29] الكلمات بديع الزمان النورسي، ص855 نقلاً عن رجل القرآن، ص140

[30] الكلمات بديع الزمان النورسي، ص855، نقلاً عن رجل القرآن، ص140141 د. عبدالحليم عويس

[31] الكلمات، ص856

أهم مراجع البحث ومصادره:

القرآن الكريم

كتب الأحاديث الشريفة

اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي، طبع دار النيل للطباعة والنشر سنة 2007 مصر

الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي "شخصيت وكردار" للمؤلف ثروت صولت طع اداره معارف اسلامي كراتشي

تفسير كبير للرازي

تفسير ابن كثير – عماد الدين

تفسير الكشاف للزمخشري

روح المعاني، للآلوسي

رجل القرآن وصناعة الإنسان للدكتور عبدالحليم عويس طبع دار النيل 2009 القاهرة

المكتوبات لسعيد النورسي، ط دار النيل سنة 2008م القاهرة

السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية لإبراهيم الدباغ، طبع دار النيل، تركيا

السنن الإلهية في الأمم الجماعات والافراد في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبدالكريم زيدان، طبع مؤسسة الرسالة، 1996م بيروت